

النباتات الصحراوية والأسماء العربية

البيئة السائدة التي نما فيها التراث العربي بيئة صحراوية، والبدو ذوو خبرة ببيئتهم، وخلال ترحالهم هناك متنوع للمشاهدة والملاحظة.

ومن الطريف أن بعض العرب قد تسمو بأسماء النباتات والحيوانات، فلدبهم من جنس الأكاشيا (العضاه) وحده العديد من الأسماء مثل: سلّمة من السلّم (*Acacia ehrenbergiana*) وطلحة من الطلح (A. seyal, A. raddeana) وسُمرَة من السُمر (*A. tortilies*).

وهكذا نرى أن نبات السلّم يشرف بحمل كنية أم المؤمنين أم سلّمة زوج رسول الله صلي الله عليه وسلم. ومن أسماء المسلمين القدامى: عرفجة من نبات العرفج، وحنظلة من نبات الحنظل، وقتادة من نبات القتاد.

العرفج *Rhanterium epapposum*

من أسمائه (ذو الزحفتين) قال الأزهرى وهو عالم لغوي: ونازُ العَرْفَجِ تَسْمِيهَا الْعَرَبُ نَارَ الرَّحْفَيْنِ، لِأَنَّ الَّذِي يُوقِدُهَا يَزْحَفُ إِلَيْهَا، فَإِذَا اتَّقَدَتْ زَحَفَ عَنْهَا.

هو نبات شجيري، سهلي وقد يكون في الجبل، من شجر الصيف، طيب الريح، لين، أغبر إلي الخضرة، له ثمرة خشناء كالحسك، وله زهرة صفراء، وليس له حب ولا شوك.

والعرفجة أصلها واسع، يأخذ قطعة من الأرض، وليس له ورق ذو بال، إنما هي عيدان دقاق يُتخذ منها المَجَارِفُ - أي المكناس - وفي أطرافها زُمع يظهر في رؤوسها شئ كالشعر أصفر وبييض إذا يبس، والنحل تحرص عليه جداً.

والعرفج نبات سهلي من النباتات المعمرة ينمو في شمال شبه الجزيرة العربية في السعودية وقطر والكويت والعراق، وهو مرعي جيد حيث تأكله الإبل والغنم رطباً ويابساً. وتكون مجموعة أفراد العرفج عشيرة نباتية ذات قيمة رعوية.

وعرق (السيقان الخشبية) العرفج جيدة للمساويك ولها حرارة في الفم، والعرفج سريع الإيقاد، ولهبه شديد الحمرة، ولا يتقد إلا إذا كان جافاً، وهو من أطيب الحطب ريحاً.

وكانت أوصاف العرب للنبات دقيقة، بل إنهم وصفوا استجابة النبات لليابس للمطر وأطوار استجابته حتى يكتمل إزهاره، فقد ذكر ابن خالويه (البتانوي 1983) إنباء العرفج وظهور الخوصة في أول الغيث، أي ظهور الفروع الغضة بعد سقوط الأمطار.

من أمثال العرب عن العرفج:

كَمَنَّ الْغَيْثُ عَلَى الْعَرْفَجَةِ. أي أصابها وهي يابسة فاخضرت.

ويقصد المثل هنا أنه بمجرد أن يصيب نبات العرفج المطر، فإنه يخضر حتى ولو كان يابساً

الْحَنْظَلُ *Citrullus colocynthis*

الْحَنْظَلُ: وهو الشجر المُرُّ، وقال أبو حنيفة: هو من الأغلات (وهي النباتات التي تخرج في البر مختلطة مع بعضها)، واحدته حَنْظَلَةٌ. الجوهري: الحَنْظَلُ الشَّرِي. وقد حَظَلَ البعيرُ، بالكسر، إذا أكثر من الحَنْظَلِ، فهو حَظَلٌ، وإبل حَظَالِي.

وقال الأصمعي: الحنظل هو الشَّرِي، واحدتها شَرِيَّة، فإذا خرج الحنظل فصغاره الجِراء، ممدودة، واحدتها جِرو، ويقال لشجرته قد أُجِرَ، فإذا اشتد الحنظل وصلب وجف فهو الحَدَج، واحدته حَدَجَةٌ، وقد أَحَدَجَتِ الشجرة، فإذا صار للحنظل خطوط خضراء فهو يسمى الخُطْبَان، وقد أُخْطِبَ الحنظل إذا ظهرت فيه الخيوط الخضراء، فإذا اصفرَّ فهو الصَّرَاء، واحدته صرَايَةٌ وجمعه صرايا، وبالشرية سُمِّي الرجل شَرِيَّةً.

والنعام ينقُف الحنظل ويأكل حَبَّهُ لا تمنعه من ذلك مراته، وقال الشاعر:

يَظَلُّ فِي الْحَنْظَلِ الْخُطْبَانُ يَنْقُفُهُ وَمَا اسْتَنْطَفَ مِنَ التَّنُّومِ مَخْدُومٌ

وَحَنْظَلَةٌ اسم رجل. وْحَنْظَلَةٌ قَبِيلَةٌ. قال الجوهري: **حَنْظَلَةٌ** أَكْرَمُ قَبِيلَةٍ فِي تَمِيمٍ، يُقَالُ لَهُمْ حَنْظَلَةُ الْأَكْرَمُونَ وَأَبُوهُمْ حَنْظَلَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ.

الْبَرْوَقُ *Asphodelus fistulosus L*

قال أبو حنيفة (شيخ علماء النبات): الْبَرْوَقُ شَجَرٌ ضَعِيفٌ لَهُ ثَمَرٌ حَبُّ أَسْوَدٍ صَغَارٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَعْرَابِي قَالَ: الْبَرْوَقُ نَبْتٌ ضَعِيفٌ رَيَّانٌ لَهُ خِطْرَةٌ دِقَاقٌ، فِي رُؤُوسِهَا **قَمَاعِيلٌ** صِغَارٌ مِثْلَ الْحَمَّصِ، فِيهَا حَبُّ أَسْوَدٍ وَلَا يَرَعَاهَا شَيْءٌ وَلَا تُوَكَّلُ وَحَدَاهَا لِأَنَّهَا تُورِثُ التَّهْبُجَ.

ومن أمثال العرب:

وتقول العرب: هو أشكُرُ من بَرْوَقٍ، وذلك أنه يَعِيشُ بِأَدْنَى نَدَى يَقَعُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ يَخْضَرُ إِذَا رَأَى السَّحَابَ.

وَبَرَقَتِ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ، بِالْكَسْرِ، تَبْرَقُ بَرَقًا إِذَا اسْتَنَكَتْ بَطُونَهَا مِنْ أَكْلِ الْبَرْوَقِ؛ وَيُقَالُ أَيْضًا: أَضْعَفُ مِنْ بَرْوَقَةٍ.